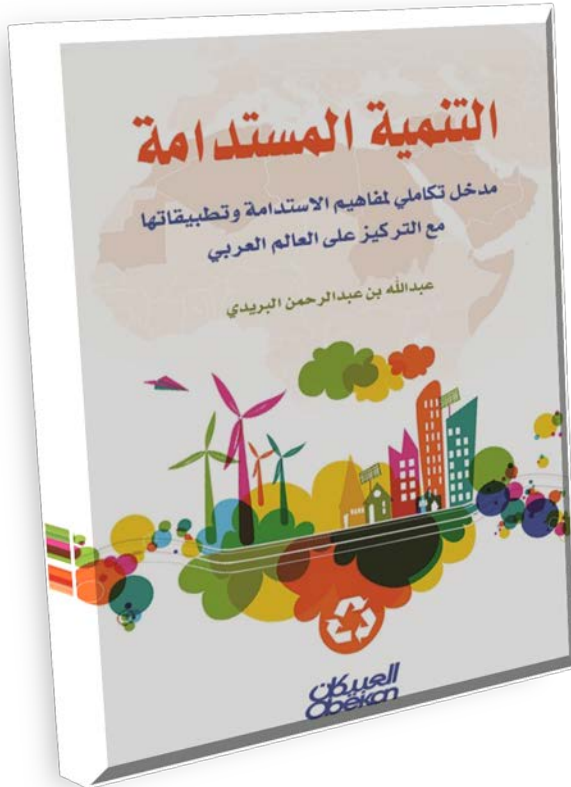


قراءة في كتاب

التنمية المستدامة:
مدخل تكاملي لمفاهيم الاستدامة وتطبيقاتها مع
التركيز على العالم العربي

تأليف : أ.د. عبدالله بن عبدالرحمن البريدي
عرض : د. ضرار الماحي عبيد



لماذا استعراض هذا الكتاب تحديداً؟

تضافرت مبررات متعددة ومتداخلة دفعني لاستعراض هذا الكتاب. يأتي في مقدمتها عنوان الكتاب والذي جاء معبراً وجاذباً لكل من يقرأ هذا العنوان من حيث مكوناته المفاهيمية وتكامله المعرفي إضافة إلى النظرة التطبيقية في العالم العربي. مما دفعني أيضاً لاستعراض هذا الكتاب ارتباطه القوي باهتماماتي البحثية والشخصية في مجالات التنمية المستدامة، وشمولية الكتاب للكثير من الأبعاد ذات العلاقة بالتنمية المستدامة ومكوناتها الرئيسية على نحو ما سيظهر لنا في الاستعراض.

ركزت في محاولتي لاستعراض هذا الكتاب جملة من المحاور اشتملت على أهمية الكتاب وتزامن إصداره في هذا التوقيت، بالإضافة إلى مكونات الكتاب والمزايا والمميزات التي أعطت الكتاب بعداً خاصاً، هذا إضافة إلى خاتمة مختصرة.

أهمية صدور الكتاب في هذا التوقيت :

تنبع أهمية كتاب "التنمية المستدامة: مدخل تكاملي لمفاهيم الاستدامة وتطبيقاتها مع التركيز على العالم العربي" من خلفية أن مفهوم التنمية المستدامة نال اهتمام العديد من المختصين والسياسيين ومتخذي القرار والمهتمين بقضايا البيئة منذ العقود الثلاثة الأخيرة من الألفية الماضية. بل وأصبح مفهوم الاستدامة التنموية يهيمن على معظم التخصصات العلمية وغير العلمية، وتتبنها هيئات شعبية ورسمية وتطالب بتطبيقها. فقد انتظمت العالم عشرات المؤتمرات والندوات وقمم على مستوى رؤساء دول العالم، هذا بالإضافة إلى تبني كبرى المؤسسات المالية، مثل صندوق النقد الدولي، البنك الدولي واليونسكو وغيرها، لمبادرات تتناول قضايا التنمية المستدامة. كما تضمنت بعض وكالات ومنظمات مؤسسات التصنيف الأكاديمي الدولي على العديد من المبادئ التي تتعلق بأبعاد التنمية المستدامة.

ونتيجة لذلك الانتشار ذهب البعض إلى قناعة بأن التنمية المستدامة هي المخرج الغائب والذي يقضي تماماً على العديد من المشاكل والتحديات التي تواجه البشرية، مثل قضايا التخلف والفقر والعدالة الاجتماعية وغيرها من المشاكل الاجتماعية والبيئية الأخرى.

لكل تلك الأسباب وغيرها، يأتي هذا الكتاب ليؤكد مستوى الزخم الهائل والانتشار الواسع لمفهوم التنمية المستدامة والاهتمام المتزايد والانتشار المستمر للمفهوم، ويبيّن أن هذا المفهوم مازال يشوبه شيء من الغموض، ويتم تفسيره بطرق مختلفة من قبل العديد من المدارس، حيث تحاول كل مدرسة استخدام المفهوم وفقاً للأهداف التي تلي رغباتها من مفهوم التنمية المستدامة.

أرى بأن إصدار هذا الكتاب يزداد أهمية خاصة في هذه الفترة والتي تتمثل في توقيت وتزامن صدوره في هذا الشهر (أكتوبر) والذي أعقب انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة والمنعقدة في نيويورك سبتمبر 2015، والتي استعرضت في معظم أهم جلساتها قضية التنمية المستدامة، وأوصت قادة دول العالم بضرورة تبني مبادئ التنمية المستدامة.

مكونات كتاب التنمية المستدامة :

يأتي كتاب التنمية المستدامة لمؤلفه البروفسيور عبد الله البريدي متضمناً لخمسة أبواب رئيسية وخمسة عشر فصلاً. تناول الباب الأول مدخلاً لمفهوم المستدامة ومحدداتها بالإضافة إلى كيفية تعليم الاستدامة. أما الأبواب الثلاثة والرابعة والخامسة فقد ناقشت الأبعاد الرئيسية للتنمية المستدامة، حيث تناول الباب الثاني البعد البيئي للتنمية المستدامة تتضمن مدخلاً تأسيسياً للبيئة، ومناقشاً لآفة التلوث البيئي ومن ثم استعراض مفهوم البيئة الخضراء، بينما تناول الباب الثالث البعد الاقتصادي من حيث التأسيس الاقتصادي وآفات الفقر والبطالة وأيضاً مفهوم الاقتصاد الأخضر، أما الباب الرابع فقد تتضمن البعد المجتمعي للتنمية المستدامة من حيث التأسيس ومعوقات وآفات التخلف الاجتماعي، إضافة إلى مصطلح المجتمع الأخضر. أما الباب الخامس والأخير فقد تميز عن بقية الفصول الأخرى للكتاب، حيث تناول الجوانب التطبيقية للتنمية المستدامة من حيث أنسنة التنمية وخضرة الأبنية بالإضافة

لمفاهيم الجامعي الأخضر وغيرها من المفاهيم الحديثة والمصطلحات الجديدة المرتبطة بمفهوم التنمية المستدامة.

المميزات العلمية الكتاب والقيمة المضافة

في نظري أن كتاب "الكتاب المستدامة" يكتسب قيمة علمية مضافة وذلك للعديد من الأسباب، نورد فيما يلي أهمها:

أهدى المؤلف جرعات متنوعة من المهارات والفتيات المتميزة المتعلقة بكيفية تأليف كتاب علمي ومنهجي للناشئين من الباحثين والمؤلفين الذين يبحثون في كيفية اختيار المواضيع والعناوين الجاذبة لنوعية التأليف في الوقت المعاصر. كما يعتبر هذا الكتاب أمودجاً رائعاً في التأليف من حيث التسلسل المنطقي بين الأبواب التي يتضمنها الكتاب وكذلك عدد الفصول لكل باب، لذلك أتى الكتاب متوازناً من حيث المحتوى والمضمون. أضف إلى ذلك فقد جاءت مكونات أبواب الكتاب منسجمة ومتناغمة من حيث المحتوى العلمي لمفهوم التنمية المستدامة، حيث التزم المؤلف بتقديم مدخل تأسيسي لكل بعد من أبعاد التنمية المستدامة ومن ثم الانتقال إلى الخطر "الآفة" التي تشكل تحدياً رئيساً لتحقيق التنمية المستدامة، عبر أبعادها الثلاثة البيئية والاقتصادية والاجتماعية. حيث أفلح الباحث في استعراض الآفات والمخاطر مفسراً آفة التلوث البيئي وآفة الفقر والبطالة بالإضافة إلى آفة التخلف المجتمعي والتي تعتبر من الآفات الهالكة لتحقيق التنمية المستدامة.

يعتبر الكتاب مفيداً ومناسباً لطلاب البكالوريوس وطلاب الدراسات العليا، حيث يضع كل فصل من فصول الكتاب في بدايته على الأهداف التعليمية وفي نهايته على ملخص للفصل وأبرز المصطلحات التي تم ذكرها في الفصل، إضافة إلى مجموعة من الأسئلة بغرض تعميق الفهم وأيضاً سرد بعض الأنشطة البحثية التي تثير القارئ، خاصة الطلاب لمزيد من البحث فرادى أو في شكل فريق عمل. هذه الوصفة العلمية أعطت الكتاب تفرد ولمسة فنية عالية تعكس ملكة المؤلف لمهارة كيفية تأليف الكتاب العلمي الجامعي.

ما أعجبني في هذا الكتاب تناوله لجملة من المصطلحات الهامة والجديدة المرتبطة بمفهوم التنمية المستدامة، حيث جاءت هذه المصطلحات موزعة في فصول الكتاب. فعلى سبيل المثال من المصطلحات التي يصبح من الضرورة الوقوف عندها "الأنفة التنموية" و"المجتمع الأخضر" و"أنسنة التنمية" و"خضرة الأبنية" و"الجامعي الأخضر" وغيرها من المصطلحات الأخرى. كل هذه المصطلحات تعتبر إضافة هامة في أدبيات اقتصاديات التنمية والبيئة. ولا بد من الإشادة بالجرأة التي التزم بها مؤلف هذا الكتاب في طرح مصطلحات جديدة وتقديم تعريفات لكل مصطلح.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن مصطلح "أنسنة التنمية" يؤكد من خلاله المؤلف على ربط الحق في التنمية بالإنسان باعتباره محور عملية التنمية كهدف ووسيلة معاً، وبالتالي فإن الحق في التنمية قد تجاوز التعريفات التقليدية للتنمية وذلك من حيث اقتصارها فقط لمستوى دخل الفرد من الناتج القومي الإجمالي.

أما من حيث الأسلوب واللغة، يتميز هذا الكتاب بمتانة اللغة وبأسلوب سلس يجبر القارئ على التعايش مع كافة مفرداته ومكونات فصوله المتنوعة بكل سهولة ويسر. لذلك فإن هذا الكتاب يتيح الفرصة للقراء عامة والمهتمين بقضايا العالم المعاصر التعرف على مفهوم التنمية المستدامة وأبعادها المترابطة.

التعليم والتنمية المستدامة :

من المادة العلمية التي تضمنها المؤلف في الفصل الأخير هو تأكيد المؤلف على أن دور التعليم العالي لم يعد يقتصر على تقدم المعرفة وصنعها ونقلها، والبحث والتجديد فحسب، بل بات أحد القوى الموجهة للنمو الاقتصادي، وأداة رئيسة في نقل الخبرة الإنسانية المتراكمة، الثقافية والعلمية. ومضيفاً بأن أهمية التعليم تزداد في عالم تسود فيه موارد المعرفة على الموارد المادية كعوامل في التنمية ويزداد في الاقتصاد، تأثير التجديد والتقدم التكنولوجي بنحو متنام على مستوى الكفاءات والدراسات المطلوبة. وبالتالي يثمن المؤلف في هذه الجزئية من الكتاب على قوة العلاقة ما بين التعليم وتحقيق التنمية المستدامة المنشودة، بل اعتبار التعليم محركاً

رئيسياً لتحقيق تلك التنمية، وذلك لإيمان المؤلف بأن التعليم سينمي ويعزز من قدرات الأفراد على تبني خيارات تخدم التنمية المستدامة.

إضافة تزيّن الكتاب إن وُجِدَتْ: المفهوم الإسلامي لأنسنة التنمية:

إن جوهر النمو الاقتصادي في النظام الإسلامي، هو تنمية الإنسان نفسه، وليس فقط تنمية الموارد الاقتصادية المتاحة لإشباع حاجاته، فهي تنمية أخلاقية تهدف إلى تكوين الإنسان السوي الذي يشكل نواة مجتمع مؤمنين أتقياء صالحين، والذي ينظر إلى التقدم المادي من منطلق الخلافة في الأرض، التي سيحاسب عليها أمام المولى عز وجل. لذلك فإن عمارة الأرض ليست عملاً دنيوياً محضاً، بل هي عمل تعبدي فيه طاعة لله عز وجل. ولا يتعارض الجانب التقليدي في التنمية، وعمارة الأرض مع تحقيق الرفاهية المادية للمجتمع الإسلامي. وعلى ذلك لا تنصرف جهود التنمية في الإسلام إلى مجرد تحسين مستوى دخل أفراد المجتمع أو توفير حد الكفاف أو إشباع حاجاتهم الأساسية فقط - كما هو هدف النظم الاقتصادية المعاصرة - وإنما تنشُد أساساً تحقيق الكفاية المعيشية لكل فرد من أفراد المجتمع، على النحو الذي يخرجهم من دائرة الفقر إلى حد الغنى. أي تحقيق الكرامة لكل فرد من أفراد الأسرة الإنسانية على وجه هذه الأرض حينها تحقق الأنسنة للتقدم الاقتصادي والازدهار العمراني.

كلمة ختامية:

إن هذا الكتاب يعتبر هدية لطلابنا وطالباتنا على المستويين البكالوريوس والدراسات العليا، حيث تتقاطع في هذا الكتاب الأدبيات المتنوعة في مجال الاقتصاد والإدارة والمحاسبة والعلوم البيئية بالإضافة إلى المختصين في مجال التربية والتعليم. كما يعتبر الكتاب وصفاً علاجية لمتخذي القرار بشأن وضع وتصميم السياسات والخطط الاقتصادية والتنموية التي تلبى رغبات الأجيال الحالية دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تحقيق رغباتهم. وبأني على يقين بأن القارئ ومع انتهائه من قراءة هذا الكتاب ستجعله يبني علاقة مستدامة مع مفهوم التنمية المستدامة.

بطاقة الكتاب:

عنوان الكتاب:

التنمية المستدامة: مدخل تكاملي لمفاهيم الاستدامة وتطبيقاتها مع التركيز على العالم العربي

المؤلف: أ.د. عبد الله بن عبدالرحمن البريدي

الناشر: مكتبة العيكان - الرياض

الصفحات والحجم: 440 صفحة - حجم كبير.

